حادي عشر: الرقاق

الحديث الثامن والثلاثون: الصحة والفراغ

حدثنا المكي بن إبراهيم أخبرنا عبد الله بن سعيد - هو ابن أبي هند - عن أبيه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال النبي ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**».

- تخريج الحديث:

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ج١١ كتاب الرقاق - باب ما جاء في الرقاق، وأن لا عيش إلا عيش الآخرة. حديث رقم ٦٤١٢ ص٢٣٣.

تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: ج ٦ أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ - حديث رقم ٢٤٠٥، ٢٤٠٦ ص٤٨٥، ٤٨٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح. ورواه غير واحد عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند ورفعوه، ووقفه بعضهم عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند.

- سنن ابن ماجه: ج٢ كتاب الزهد - باب الحكمة - حديث رقم ٤١٧٠ ص١٣٩٦.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل: ج١ مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ. حديث رقم ٣٢٠٦ ص٣٤٤.

- المعاني اللغوية والبلاغية:

مغبون أي مخدوع ومغلوب.

غبن يغبن، وغبنه في البيع أو الشراء: خدعه وغلبه، وفلانا نقصه في الثمن وغيره فهو غابن وذلك مغبون.

نعمتان مغبون: مبتدأ وخبر.

الصحة والفراغ : بدلان من (نعمتان) مرفوعان مثلها .

جملة اسمية تفيد الثبوت والدوام وفيه كذلك تفصيل بعد إجمال .

- المعنى العام:

يحدثنا الرسول ﷺ عن الأشياء التي يغفل عن معرفة كنهها وحقيقتها كثير من الناس، منها : معرفة قيمة الوقت، ومعرفة نعمة الصحة والعافية، بينما يجب على المسلم الحق أن يغالي بالوقت مغالاة شديدة ؛ لأن الوقت عمره، فإذا سمح بضياعه وترك العوادي تنهبه فهو ينتحر بهذا المسلك الطائش .

إن الإنسان ليسير حثيثا إلى الله، وكل دورة للفلك تتمخض عن صباح جديد ليست إلا مرحلة من مراحل الطريق إلى الآخرة . أفليس من العقل أن يدرك المرء هذه الحقيقة وأن يجعلها نصب عينيه وهو يستبين ما وراءه وما أمامه؟ من الخداع أن يحسب المرء نفسه واقفا، والزمن يسير.

الإسلام دين يعرف قيمة الوقت، ويقدر خطورة الزمن، وينبه المؤمن أنه يحاسب عن عمره وعن وقته ؛ لأن الوقت والعمر أمانة كأمانة المال ؛ عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال : «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟»، وفي رواية أخرى عن أبي برزة الأسلمي قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه فيم فعل به؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟»(١) .

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المجلد السابع، أبواب صفة القيامة ص ١٠٠، ١٠١ .

والحديث يؤكد أن المؤمن يحاسب في قبره، ومن أوائل الأشياء التي توجه إليه في قبره عن عمره فيم أفناه؟ بمعنى أنه يسأل عن وقته واستثماره وضياعه طوال فترة حياته، وكم يكون عسيراً على الإنسان أن يتذكر أعماله ويراجع حسابه فيما يتعلق بتبذير الوقت وإهداره فيما لا طائل من ورائه، ولذلك يربي الإسلام في المؤمن معرفة قيمة الوقت، ويعلم المسلم أن يبدأ عمله اليومي نشيطا طيب النفس مكتمل العزيمة؛ فإن الحرص على الانتفاع من أول اليوم يستتبع الرغبة القوية في ألا يضيع سائره سدى.

ونظام الحياة الإسلامية يجعل ابتداء اليوم من الفجر، ويفترض اليقظة الكاملة قبل طلوع الشمس، ويكره السهر الذي يؤخر صلاة الفجر إلى ما بعد وقتها، وفي الحديث: «**اللهم بارك لأمتي في بكورها**»(١). ونظام الإسلام ككل يدعو إلى استثمار الوقت فينادي بالبكور في أداء الأعمال، ويوجه الأنظار إلى معرفة الواجبات والتكاليف؛ ليعلم المؤمن جيداً أن الواجبات أكثر من الأوقات، وليعلم أن الزمن يستغرق التكاليف التي نيطت بأعناق العباد، فهو يستوعب الأقضية التي يرسلها الله على الناس من خير وشر. قال تعالى: ﴿**يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار**﴾(٢).

ومن المؤسف حقا أن الناس ينتبهون نوعاً ما إلى إهدار المال ويعرفون مدى خسارته بينما لا يدركون معاني إهدار الوقت، مع أنهما مرتبطان بعضها بالبعض، وقد وردا معاً في سياق الحديث المذكور.

ومن الاتعاظ بالزمن دراسة التاريخ وتتبع آيات الله، وتدبر أحوال الأمم كيف تقوم؟ وكيف تنهار؟ ﴿**أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها**

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) سورة النور: ٤.

أو آذان يسمعـــون بها فإنها لا تعمى الأبصـــار ولكن تعمى القلـــوب التي في الصدور﴾(١).

وأما نعمة الصحة فهى نعمة لا تعادلها نعمة، وقديما قيل: «الصحة تاج على رؤوس الأصحـاء لا يـــراه إلا المرضى». وبـالطبع فكل نعمـــة يحاسب عليهـا المؤمن، فيحاسب على نعمة الصحة فيم وأين وضعها؟ والحديث يثير في المؤمن روح العنايـة بهذه الصحة، ويطلب أن يتزود؛ فإن خير الزاد التقـوى، فالموت بـالمرصـــاد ولا تـدري نفس بأي أرض تموت؟ وفي أي وقـت تموت؟ فيستثمـر صحته وشبـابه في أداء الواجبات والتكـاليف من عبادة وعمل وجهاد وانـدفاع لحل قضـايـا المسلمين ولتحمل مشكلاتهم وواجبـاتهم حتى لا ينـدم وحتى لا يفرط في جنب الله، قال الله تعالى: ﴿**أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخريـن * أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين * أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين**﴾(٢).

وصـدق رسول الله ﷺ: «نعمتـان مغبـون فيهما كثير من الناس: الصحـة والفراغ».

فقه الحديث:

يجب على المؤمن استثمار الـوقت واستغلال الصحـة تمثلا بقول ابـن عمر: «وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك».

- ما يستفاد من الحديث:

١ - يجب أن يكون المؤمـن أعمق الناس إحساسـاً بقيمة الـوقت؛ فإن الله سائلـه يوم الجزاء عن عمره فيم أفنـاه؟ وعن شبابه فيم أبـلاه؟ فهو لهذا يضن

(١) سورة الحج: ٤٦.
(٢) سورة الزمر: ٥٦ -٥٨.

بـوقتـه أن يضيع في عبث، أو يبعثـر في مهب الـريـاح سدى. إنـه رأس مـالـه الوحيد، فكيف يضيعه ويبقى صفر اليدين؟!

٢ - المؤمن ينبغى أن يشعـر كأن كل يـوم تبزغ شمسـه وينشق فجـره يناديـه بصـوت جهير: أنـا خلق جديـد، وعلى عملك شهيـد، فتـزود مني واغتنمني بعمل الصالحات.

٣ - ينبغي أن يكون المؤمن حريصاً على أن يكون يومه خيراً من أمسه، وغده خيراً من يومـه، ويحرص على أن يخلف وراءه عملاً نـافعاً أو مشروعـاً مثمراً، أو صدقة جاريـة، أو ذرية صالحة، وعلى قدر ما يبقى ويمتـد الأثر الذي يخلفه، وعلى قدر ما ينتفع الناس به تكون مثوبته عند الله.

الحديث التاسع والثلاثون: إن هذا المال خضرة حلوة

حدثنا معاذ بن فضالة حدثنا هشام عن يحيى عن هلال بن أبي ميمونة حدثنا عطاء بن يسار أنه سمع أبا سعيد الخدري - رضي الله عنه - يحدث « **أن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله فقال: إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يُفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها. فقال رجل: يا رسول الله، أويأتي الخير بالشر؟ فسكت النبي ﷺ. فقيل له: ما شأنك تكلم النبي ﷺ ولا يكلمك؟ فرأينا أنه يُنزل عليه. قال: فمسح عنه الرُّحَضاءَ فقال: أين السائل -وكأنه حمِدَهُ- فقال: إنه لا يأتي الخير بالشر، وإن مما يُنبت الربيعُ يقتلُ أو يُلِمُّ، إلا آكلة الخضراء، أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ورتَعتْ. وإن هذا المالَ خَضِرةٌ حلوة، فنعم صاحب المسلم ما أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل - أو كما قال النبي ﷺ - وإنه من يأخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع، ويكون شهيدًا عليه يوم القيامة**».

- تخريج الحديث:

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ج٣ كتاب الزكاة - باب الصدقة على اليتامى - حديث رقم ١٤٦٥ ص٣٨٣، ٣٨٤، ج ٦ كتاب الجهاد والسير - باب فضل النفقة في سبيل الله - حديث رقم ٢٨٤٢، ص٥٧، ٥٨، ج١١ كتاب الرقاق - باب ما يحذر من زهرة الدنيا، والتنافس فيها - حديث رقم ٦٤٢٧ ص٢٤٨.

- صحيح مسلم بشرح النووي: ج٧ كتاب الزكاة - باب تخوّف ما يخرج من زهرة الدنيا - حديث رقم١٢١ - (١٠٥٢)، ١٢٢، ١٢٣ ص ١٩٨-٢٠٣.
ذكر مسلم الحديث عن أبي سعيد الخدرى أيضاً ولكن بشيء يسير من الإضافة والحذف.

- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي: ج ٥ ، كتاب الزكاة باب الصدقة على اليتيم - حديث رقم ٢٥٨٠ ص٩٤، ٩٥ .

- سنن ابن ماجه: ج٢ ، كتا ب الفتن - باب فتنة المال - حديث رقم ٣٩٩٥ ص١٣٢٣ .

- مسند الإمام أحمد بن حنبل: ج٣ ، مسند أبي سعيد الخدري - رضي الله تعالى عنه - حديث رقم ١١٠٤١ ص٧، ١١١٥٣ ص٢١، ١١٨٧١ ص٩١ .

- الراوي:

أبو سعيد الخدري الإمام المجاهد سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد ابن الأبجر بن عوف بن الحارث بن الخزرج . واسم الأبجر: خُدْرَة . استشهد أبوه مالك يوم أحد، وشهد أبو سعيد الخندق وبيعة الرضوان .

وحدث عن النبي ﷺ فأكثر، وعن أبي بكر وعمر وطائفة، وكان أحد الفقهاء المجتهدين . حدث عنه بن اعمر وجابر وأنس وجماعة من أقرانه . ويعتبر أبو سعيد الخدرى من صغار الصحابة، نشأ وترعرع بين أحضان النبوة يسمع ويشاهد بركات الوحي، ويرى معالم التربية النبوية، ويستمع إلى توجيهاته وإرشاداته وانطلاقه ﷺ نحو الغزوات والمعارك فيتحمس للمشاركة رغم صغر سنه . وعن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال: «عُرِضت يوم أحد على النبي ﷺ وأنا ابن ثلاث عشرة، فجعل أبي يأخذ بيدي ويقول: يا رسول الله، إنه عبل العظام . وجعل نبي الله ﷺ يصعد فيّ النظر ويصوبه ثم قال: رُدّه فردني» . وهذه القصة تدل على مدى تجاوبه مع الأحداث ومدى حماسه

ونشاطه للوقوف بجانب النبي ﷺ مجاهدًا وطالبًا للعلم وباحثًا عن المعرفة ومتلقياً للجرعات النبوية التربوية حتى نشأ نشأة قرآنية وربانية متشبعاً بروح الإسلام ومتأسياً بأسوة الرسول ﷺ. نذكر هنا وصية أبي سعيد الخدري، ونرى خلال ذلك شخصيته الإسلامية ومدى فهمه وحبه لهذا الدين. عن إسماعيل ابن عياش أنبأنا عقيل بن مدرك، يرفعه إلى أبي سعيد الخدرى قال: «عليك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في أهل السماء وذكرك في أهل الأرض، وعليك بالصمت إلا في حق فإنك تغلب الشيطان.

كلمات ندية عطرة مليئة بالحكم والعبر، كل فقرة تدل على سعة علم أبي سعيد الخدري وجدته في الحياة ومعاشرته لأحداث وأجواء المدينة المنورة المتجددة المتطورة كل يوم، وهو يكتسب علماً جديداً. وروى حنظلة بن أبي سفيان عن أشياخه «أنه لم يكن أحد من أحداث أصحاب رسول الله ﷺ أعلم من أبي سعيد الخدري».

ومسند أبي سعيد ألف ومائة وسبعون حديثا، ففي البخاري ومسلم ثلاثة وأربعون، وانفرد البخاري بستة عشر حديثا، ومسلم باثنين وخمسين. وهو سابع المكثرين في الرواية. قال الواقدي وجماعة: مات - رحمه الله - سنة أربع وسبعين بعد عمر مديد حافل بالعلم والعمل والجهاد والعبادة، وشهد اثنتى عشرة غزوة(١).

(١) راجع سير أعلام النبلاء، ج ٣ ص ١٦٨ - ١٧٢؛ باختصار وتصرف.

- المعاني اللغوية والبلاغية:

زَهرة الدنيا : بهجتها ونضارتها وحُسنها .

فمسح عنه الرُّحضاء : الرحضاء ، كالخُششاء : العَرَقُ إثر الحمى ، أو عَرَقٌ يغسلُ الجلد كثرة .

وإن مما ينبت الربيع يقتل أو يُلِمُّ : يُلِمُّ ، أي يقرب من ذلك . لَمَّهُ : جمعه ، واللهُ تعالى شَعَثَه : قارب بين شتيت أموره .

ثَلَطَ الثور والبعير والصبي يَثْلِطُ : سَلَحَ رقيقاً ، وفلانا : رماه بالثَّلطِ ، ولَطَخَه به . والثَّلطُ : رقيق سَلحِ الفيل ونحوه .

رَتَعَ كمنعَ ، رَتْعاً ورُتُوعاً ورِتاعاً ، بالكسر: أَكَلَ وشرِبَ ما شاءَ في خصْبٍ وسَعَةٍ ، أو هو الأكلُ والشُّربُ رَغَدًا في الريفِ أو بشرهٍ .

وقوله : المال خضرة حلوة : قال ابن الأنباري : ليس هو صفة المال وإنما هو تشبيه ، كأنه قال : المال كالبقلة الخضراء الحلوة . أو التاء في قوله : خضرة حلوة باعتبار ما يشتمل عليه المال من زهرة الدنيا ، أو أن المراد بالمال هنا الدنيا لأنه من زينتها .

- المعنى العام:

حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله تعالى عنه - يمثل حلقة من حلقات التربية النبوية لأصحابه ، وكيف كان يهتم بالتربية الشاملة ، وكم كان يشغله ﷺ أن يرى أصحابه وقد تشبعوا بروح الإسلام ، وطبقوا مبادئه وفهموا كلياته وصاروا نماذج يحتذى بها ، فجلس ذات يوم على المنبر، وجلس حوله أصحابه فقال : «إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها» . وهذا الخوف طبعي ؛ لأن الإنسان ﴿**لربه لكنود * وإنه على ذلك**

لشهيد * وإنه لحب الخير لشديد﴾[1]. وسرعان ما يجحد نعمة ربه وينكر جزيل فضله، ويتمثل كنوده وجحوده في مظاهر شتى، تبدو منه أفعالاً وأقوالاً، فتقوم عليه مقام الشاهد الذي يقرر هذه الحقيقة. ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾، فهو شديد الحب لنفسه، ومن ثم يحب الخير كما يتمثله، مالاً وسلطة ومتاعاً بأعراض الحياة الدنيا.

هذه فطرة الإنسان وهذا طبعه ما لم يخالط الإيمان قلبه، فيغير من تصوراته وقيمه وموازينه واهتماماته، ويجعل كنوده وجحوده اعترافاً بفضل الله وشكراناً كما يبدل أثرته وشحه إيثاراً ورحمة، ويريد القيم الحقيقية التي تستحق الحرص والتنافس والكد والكدح وهي قيم أعلى من المال والسلطة والمتاع الحيواني بأعراض الحياة الدنيا.

ولذلك يقول ﷺ: «إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها»؛ لأن الإنسان بغير إيمانٍ شديدُ المطامع صغيرُ الاهتمامات، يشتد طموحه، وتتعالى أهدافه ويظل مرتكساً في حمأة الأرض، سجيناً في سجن الذات والملذات، لا يطلقه ولا يرفعه إلا الاتصال بالله وحب رسوله ﷺ، وحب الدفاع عن دينه.

ويتراءى الإنسان المال نعمةً وخيرًا وأي خير، ولذلك سأل رجل قائلا: «يا رسول الله، أويأتي الخير بالشر؟» قال الطيبي: الاستفهام فيه استرشاد منهم، ومن ثمة حمد ﷺ السائل. والباء في (بالشر) صلة. يأتي بمعنى: هل يستجلب الخير.. ؟

---

(١) سورة العاديات: ٦-٨.

فسكت النبي ﷺ انتظاراً للوحي، فلام القوم هذا السائل، وقالوا له: ما شأنك تكلِّم رسول الله ﷺ ولا يكلمك؟ فرأينا أنه يُنزل عليه، يعني الوحي. فمسح عنه الرحضاء، وهو عرق يغسل الجلد لكثرته، وكثيراً ما يستعمل في عرق الحمى(١).

وقوله: «لا يأتي الخير بالشر» يؤخذ منه أن الرزق ولو كثر فهو من جملة الخير، وإنما يعرض له الشر بعارض البخل به عمن يستحقه، والإسراف في إنفاقه في ما لم يشرع، وأنه كل شيء قضى الله أن يكون خيرا فلا يكون شرًّا وبالعكس، ولكن يخشى على من رزق الخير أن يعرض له في تصرفه ما يجلب له الشر.

ووقع في مرسل سعيد المقبري عند سعيد بن منصور «أوخير هو؟ ــ ثلاث مرات» وهو استفهام إنكار، أي أن المال ليس خيراً حقيقيًّا وإن سمي خيراً؛ لأن الخير الحقيقي هو ما يعرض له من الإمساك عن الحق والإخراج في الباطل(٢).

وفي الحديث إعجاز نبوى كريم؛ فالرسول ﷺ في مكة وحتى في المدينة في ظروف اقتصادية صعبة لا يحلم فيها الإنسان بالثراء والمال، ولكنها «الثروة» خطرات قادمة للأمة الإسلامية والمحدقة بالعالم كله، فكيف الطريق إلى الاعتدال، وإلى تقوية الصلة بالله في حالة الغنى والثراء. لقد عالج الإسلام هذا الموضوع في أماكن متفرقة، ومنها في سورة طه: ﴿**وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى * ولاتمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق**

---

(١) عمدة القارئ، م ٩، ص ٤٠، ٤١ باب الصدقة على اليتامى.

(٢) فتح الباري، ج ١١، كتاب الرقاق ص ٢٤٦.

ربك خير وأبقى * وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾(١).

والآية تعالج موضوع الابتلاء بحب الدنيا، وتنير الطريق لأصحاب النبي ﷺ فتقول: ﴿**وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها**﴾، في هدأة الصبح، وهو يتنفس ويتفتح بالحياة، وفي هدأة الغروب والشمس تودع، فالتسبيح لله علاج، والنفس التي تتصل وتطمئن وترضى في ذلك الجوار الرباني وتطمئن في ذلك الحِمى الآمن تبتعد عن ملذات الدنيا والانغماس فيها وتقترب إلى الاعتدال والتوازن في أخذها والاستمتاع بها، وترضى بما قسم الله لها.

فالرضا ثمرة التسبيح والعبادة والرضا بالقليل، والاقتناع بالاقتصاد والاعتدال والاتجاه إلى الله بالعبادة هو أبرز أهداف هذا الحديث، ﴿**ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا منهم**﴾ من عرض الحياة الدنيا، من زينة ومتاع ومال وأولاد وجاه وسلطان ﴿**زهرة الحياة الدنيا**﴾التي تطلعها كما يطلع النبات زهرته لامعة جذابة، والزهرة سريعة الزهور على ما بها من بهاء، فإنما نمتعهم بها ابتلاء ﴿**لنفتنهم فيه**﴾ فنكشف عن معادنهم بسلوكهم مع هذه النعمة، وذلك المتاع ولكن ﴿**ورزق ربك خير وأبقى**﴾إذا أخذ بالحلال وصرف في اعتدال.

والحديث ليس دعوة إلى الزهد في طيبات الحياة، ولكنه دعوة إلى الاعتدال والتوازن في مجالات الحياة الدنيوية المتعددة، ودعوة إلى تقوية الصلة بالله والرضا به فلا تتهاوى النفوس أمام زينة الثراء، ولا تفقد اعتدالها بالقيم العليا، وتبقى دائما تحس حرية الاستعلاء على الزخارف الباطلة التي تبهر الأنظار. وهذا معنى قوله ﷺ: «إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا

---

(١) سورة طه: ١٣٠ - ١٣٢.

وزينتها»، «فمعناه أنه ﷺ حذرهم من زهـرة الدنيا، وخاف عليهم منها. فقال هذا الرجل إنما يحصل ذلك لنا من جهة مباحة كغنيمة وغيرها وذلك خير، وهل يأتي الخير بالشر؟ وهو استفهام إنكـار واستبعاد، أي يبعد أن يكون شيء خيرا، ثم يترتب عليه شر. فقـال له النبي ﷺ أمـا الخير الحقيقي فلا يأتي إلا بخير، ثم قال: «أوخير هو؟» معناه أن هذا الـذي يحصل لكم من زهرة الدنيا ليس بخير، وإنما هو فتنة. وتقديـره: الخير لا يأتي إلا بخير، لكن ليست هذه الزهرة بخير؛ لما تؤدي إليه من الفتنة والاشتغال بها عن كمال الإقبال على الآخرة»(١).

قال الأزهري: فيه مثـلان، أحدهما للمكثر من الجمع المانع من الحق، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «إن مما ينبت الربيع ما يقتل»؛ لأن الربيع ينبت أحرار البقول فتستكثـر منه الـدابـة، والثـاني للمقتصد وإليـه الإشـارة بقـوله ﷺ: «إلا آكلـة الخضر»؛ لأن الخضر ليس من أحرار البقول. وقـال القاضي عياض: ضرب ﷺ مثلا بحالتي المقتصـد والمكثر، فقال ﷺ أنتم تقولون إن نبـات الربيع خير وبه قـوام الحيـوان، وليس هـو كذلك مطلقـاً، بل منـه مـا يقتل أو يقـارب القتل؛ فحالة المبطـون المتخوم كحالة من يجمع المال ولا يصرفه في وجـوهه، فأشار ﷺ إلى أن الاعتدال والتوسط في الجمع أحسن، ثم ضرب مثـلاً لمن ينفعه إكثاره وهو التشبيه بآكلة الخضر، وهذا التشبيه لمن صرفه في وجوهه الشرعية ووجه الشبه أن هذه الـدابة تأكل من الخضر حتى تمتلئ خاصرتها ثم تثلط وهكـذا من يجمعه ثم يصرفه والله أعلم(٢).

وقوله: «وإن هـذا المال خضرة حلوة». معناه أن صورة الدنيا حسنـة مؤنقة. والعـرب تسمي كل شيء مشرق ناضر أخضر. وقـال ابن الأنباري: «هـذا المال

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٧، باب التحذير من الاغترار بزينة الدنيا ص ١٤٢، ١٤٣
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٧، كتاب الزكاة، باب التحـذير من الاغترار بزينة الدنيا ص ١٤٣، ١٤٤.

خضرة حلوة» ليس هو صفة المال، إنما هو تشبيه، كأنه قال: المال كالبقلة الخضراء الحلوة.

وقوله ﷺ: «وإن هذا المال خضرة حلوة فنعم صاحب المسلم...» هو لمن أعطى من المسكين واليتيم وابن السبيل، فيه فضيلة المال لمن أخذه بحقه، وفيه حجة لمن يرجح الغنى على الفقر. والله أعلم(١).

وقوله: «وإنه من يأخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع ويكون شهيدًا عليه يوم القيامة». وفي سنن النسائي شرح مشكور للعلامة جلال الدين السيوطي والإمام الجليل السندي لهذا الحديث، ويقول فيه السندي: «إن أعطى منه اليتيم» أي بعد أن أخذ بوجهه، وإلى هذا القيد أشار بذكر يقتضيه في المقابل، فلا بد في الخبر من أمرين، أحدهما تحصيله بوجهه، والثاني صرفه في مصارفه، وعند انتقاء أحدهما يصير ضرراً. وإلى هذا فقد ترك مقابل المذكور هاهنا فما بعد، أعني والذي يأخذه بغير حقه، أي أو لا يستعمله بعد أخذه بحقه في مصارفه، فلا يوفق المرء للصرف في المصارف إلا إذا أخذه بوجهه(٢).

ويختم ﷺ هذا الحديث التربوي المثير بلفتة مهمة في حياة المؤمن، وهي أن على المؤمن أن يبحث عن رزقه في مجالات الحياة المتعددة بدون اندفاع ولا انغماس وبالطرق المسنونة والمشروعة، ويتحرى الحلال والحرام والصدق والأمانة واضعاً نصب عينيه أن هذا المال رزق مبارك وأمانة من الله، والمطلوب منه الإنفاق في سبيله حتى يكون ممن يتقون الله، وممن أشار إليه القرآن ﴿الم * **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**﴾ ينفق منه على المسكين واليتيم وابن السبيل،

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٧، كتاب الزكاة، باب التحذير من الاغترار بزينة الدنيا ص ١٤٤.
(٢) سنن النسائي شرح السيوطي وحاشية السندي، ج ٥ ص ٩١، ٩٢، باب الصدقة على الأقارب.

ويراعى فيه حقوق الأقارب، ويساهم به في مجالات الجهاد، ويشارك في قضايا الأمة الإسلامية حتى تكون بركة ماله شاملة، وأما الذي يأخذ هذا المال بغير حقه فلا يكاد يرتاح ولا يكاد يشبع، ويكون هذا المال وبالاً عليه في الدنيا وشهيدا عليه في الآخرة، ينطق المال ويقول: إن هذا من حق فلان، وهذا أخذ من الطرق غير المشروعة، كما هو معروف في الحديث؛ فعن أبي حميد السعدي أنه قال: «استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة... هذا لكم وهذا أهدي لي. قال: فهلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر يهدى له أو لا. والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منه شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته إن كان بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار، ثم رفع بيده عفرة إبطه، اللهم هل بلغت - ثلاثًا»(١).

- فقه الحديث:

١ - وقد ذهب جمهور المسلمين من السلف والخلف في الآية الكريمة ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم**﴾(٢) أن المراد بالصدقة في هذه الآية الزكاة. والحديث يوضح هذه الآية فيقول: «وإن هذا المال خضرة حلوة، فنعم صاحب المسلم ما أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل».

٢ - إعطاء الفقير من المال كفايته. إن أقرب المذاهب في هذا الشأن أن يعطي الفقير ما يستأصل شأفة فقره ويقضي على أسباب فاقته.

٣ - جمع المال غير محرم ولكن الاستكثار منه والخروج عن حد الاعتدال والاقتصاد لا يلائم روح الإسلام.

---

(١) البخاري ج ١، ص ١١٦.
(٢) سورة التوبة: ٦٠.

- ما يستفاد من الحديث:

١ - الحديث يشير إلى أن المال في الحقيقة أمانة، ويعتبر حائز المال ومالكه بمنزلة الوكيل أو الأمين على هذا المال، فهو غير مطلق التصرف فيه، بل هو مقيد بأوامر مالك المال الأصلي وتوجيهاته، وهذا المالك هو رب العباد. «فنعم صاحب المسلم ما أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل».

٢ - والحديث يشير إلى أن المال المكتسب من غير حله لا يبارك الله فيه، فلا بد من تحري الطرق المشروعة والمسنونة في مجالات الكسب المتعددة.

٣ - المال فتنة وابتلاء ولا يناسب للمؤمن أن يندفع فيفلت منه زمام التوازن في كسب هذا المال وفي صرفه، ويحذر أن لا يبتلى ويفتن بهذه الثروة المباركة فيطهرها من أدران الجشع وشوائب الدنيا ومظاهر الرياء والخيلاء.

٤ - والحديث يشير إلى جواز ضرب الأمثال للأمور التافهة ولكنها قريبة من أذهان العوام، حتى يتمكن الداعية إلى إيصال المعلومات والأفكار إلى القلوب والأذهان بأيسر صورة ممكنة.

٥ - والحديث ينير الطريق للعالم المتمكن من علمه أنه إذا وجهت إليه أسئلة أن يؤخر الجواب حتى يتمكن من معرفة الصحيح منه وحتى يكشف المسألة ممن فوقه من العلماء(١).

٦ - والحديث يشير إلى ترجيح الغنى على الفقر.

٧ - والحديث يذم الإسراف وكثرة الأكل والنهم فيه، وأن اكتساب المال من غير حله لا يبارك له فيه، وكذا إمساكه عن إخراج الحق منه سبب لمحقه، فيصير غير مبارك، كما قال تعالى: ﴿**يمحق الله الربا ويربي الصدقات**﴾(٢).

---

(١) عمدة القاري ج ٩، باب الصدقة على اليتامى، ص ٤٠.

(٢) فتح الباري، ج ١١، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، ص ٢٤٩.

الحديث الأربعون: حجبت النار بالشهوات!

حدثنا إسماعيل قال: حدثني مالك عن أبي الزِّناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « **حُجِبَتِ النارُ بالشهواتِ ، وحُجِبَتِ الجَنةُ بالمكارهِ** » .

- تخريج الحديث :

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ج١١ كتاب الرقائق - باب حجبت النار بالشهوات - حديث رقم ٦٤٨٧ ص٣٢٧ .

- مسند الإمام أحمد بن حنبل: ج٢ مسند أبي هريرة - حديث رقم ٨٤١٩ ص٣٣٣، ٨٨٨٣ ص٣٧٣ .

يقول ابن حجر إن هذا الحديث ليس في الموطأ، وقد ضاق على الإسماعيلي مخرجه، فأخرجه عن الهيثم بن خلف عن البخاري، وأخرجه أبو نعيم من وجه آخر عن إسماعيل، وأخرجه الدارقطني في الغرائب من رواية إسماعيل، ومن طريق سعيد بن داود، وإسحاق بن محمد الفروي أيضاً عن مالك، وأخرجه أيضاً من رواية عبد الله بن وهب عن مالك به، ولكن وقفه[1] .

- فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي: ج٣ حرف الحاء، حديث رقم ٣٧٣٢ ص٣٨٩ ط دار المعرفة بيزوت - لبنان .

- صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني: م٢ حرف اللام، حديث رقم ٥٢١٠-(١٦٨٣) ص٩٢٥ .

المعاني اللغوية والبلاغية:

- حَجَبَهُ حَجْباً وحجاباً: سَتَرَهُ ، كحَجَّبَهُ ، وقد احْتجَب وتحجَّبَ .

- حفَّ رأسهُ يحفُّ حُفوفاً: بَعُدَ عَهْدُه بالدهن . وحَفَّهُ بالشيء، كمدَّه: أحاط به .

---

(١) فتح الباري ج ١١ ، كتاب الرقائق، باب حجبت النار بالشهوات ص ٣٢٠ .

- الكَرْهُ، ويُضم: الإباء، والمشقة، أو بالضم: ما أكرهْتَ نفسك عليه، وبالفتح: ما أكرهك غيرك عليه.

- والمراد بالمكاره هنا ما أمر المكلف بمجاهدة نفسه فيه فعلا وتركا، كالإتيان بالعبادات على وجهها والمحافظة عليها، واجتناب المنهيات قولا وفعلا، وأطلق عليها المكاره لمشقتها على العامل وصعوبتها عليه، ومن جملتها الصبر على المصيبة والتسليم لأمر الله فيها.

-شَهِيَهُ واشْتَهاهُ وَتَشَهَّاهُ: أحبَّهُ وَرَغِبَ فيه.

- والمراد بالشهوات ما يستلذ من أمور الدنيا مما منع الشرع من تعاطيه إما بالأصالة، وإما لكون فعله يستلزم ترك شيء من المأمورات. ويلتحق بذلك الشبهات، والإكثار مما أبيح خشية أن يوقع في المحرم.

- الجنة والنار طباق.

- المعنى العام:

الحديث من جوامع كلمه ﷺ وبديع بلاغته في ذم الشهوات، وإن مالت إليها النفوس، والحض على الطاعات وإن كرهتها النفوس وشق عليها(١).

والإسلام يريد بناء الشخصية الإسلامية المحاطة بالرعاية الربانية وبسياج من الاحتياطات حتى لا تنزلق الأقدام والأفكار وحتى لا يتسلل الشيطان الذي يجرى في الإنسان مجرى الدم، فيشوه معالم الشخصية الإسلامية.

والشيطان يجد مدخلاً في النفس الأمارة بالسوء فيغريه بالمغريات ويوجهه إلى الملذات ويمنيه بالشهوات ويدفعه إلى خرق العادات والعبادات. وهذا

---

(١) فتح الباري، ج ١١، كتاب الرقائق، باب حجبت النار بالشهوات، ص ٣٢٠.

الحديث يعالج هذه المزالق فيذكر المؤمن بالموت والحياة، ويصور مشاهد القيامة وهول النار، كما يذكر نعيم الجنة ومناظرها المثيرة لتهفو إليها النفوس، وتكبح جماحها لتشق طريقها إلى الجنة الخالدة.

ومن الوسائل الفعالة لكبح جماح النفس ذكر الموت والحساب والقبر والحشر؛ قال تعالى: ﴿**كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**﴾(١).

الآية توجه الشخصية الإسلامية إلى معالم الجنة وتحذرها من المغريات والشهوات، فتذكرها أن الحياة في هذه الأرض موقوتة ومحدودة بأجل، ثم تأتي نهايتها حتماً، الكل يموت، كل نفس تذوق جرعة الموت وتفارق هذه الحياة، لا فارق بين نفس ونفس في تذوق هذه الجرعة، إنما الفارق في شيء آخر، الفارق في المصير الأخير ﴿**وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز**﴾ ولفظ (زحزح) بذاته يصور معناه بجرسه ويرسم هيئته ويوضع عبارة «حجبت النار بالشهوات»، وكأنما للنار جاذبية تشد إليها من يقترب منها فهو في حاجة إلى مجاهدة النفس والسيطرة على المشاعر والأعصاب والتزود بمعاني التقوى حتى لا ينفلت زمام النفس وتقترب إلى جاذبية النار.

«حجبت النار بالشهوات» تعبير قوي ومشهد حي، وفي رواية «حفت النار بالشهوات»، فللنار جاذبية كما للمعصية جاذبية، والشخصية الإسلامية في حاجة إلى من يزحزحها عن جاذبية المعصية، أليس الإنسان مع المحاولة واليقظة الدائمة يظل أبداً مقصراً في العمل إلا أن يدركه فضل الله؟ بلى. وهذه

---

(١) سورة آل عمران: ١٨٥.

هي الزحزحة عن النار، حين يدرك الإنسان فضل الله فيزحزحه عن النار. وقد ورد إيضاح ذلك من وجه آخر عن أبي هريرة «لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة، فقال: انظر إليها. قال: فرجع إليه، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها. فأمر بها فحفت بالمكاره. فقال: ارجع إليها. فرجع، فقال: وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد. قال: اذهب إلى النار انظر إليها. فرجع فقال: لا يسمع بها أحد فيدخلها. فأمر بها فحفت بالشهوات. فقال: ارجع إليها. فرجع، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد»(١).

والحديث يُعرِّف أصحاب الدعوة حقيقتهم هم أنفسهم وهم يزاولون الحياة والجهاد مزاولة عملية واقعية، ويعرفون حقيقة النفس البشرية وخباياها، وحقيقة الجماعات والمجتمعات، وهم يرون كيف تصطرع مبادئ دعوتهم مع الشهوات في أنفسهم ويعرفون مداخل الشيطان إلى هذه النفوس ومزالق الطريق، وكيف الطريق للنجاة منه؟ وأنها سنة الدعوات وما يصبر على ما فيها من شقة ويحافظ في ثنايا الصراع المرير على تقوى الله فلا يشط فيعتدي وهو يرد الاعتداء، ولا ييأس من رحمة الله ويقطع أمله في نصره وهو يعاني الشدائد، ويضع نصب عينيه الكلمة البليغة «وحجبت الجنة بالمكاره»؛ فالجنة لا يتوصل إليها إلا بقطع مفاوز المكاره، والنار لا ينجى منها إلا بترك الشهوات؛ قال ابن العربي: معنى الحديث أن الشهوات جعلت على حفاف النار وهي جوانبها(٢).

ومن الأشياء التي تساعد في بناء الشخصية الإسلامية الجلوس مع الطيبين والمذاكرة معهم في معاني الجنة والنار، وتبين معاني الأحاديث فيها. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما

(١) فتح الباري، كتاب الرقائق، باب حجبت النار بالشهوات، ج ١١، ص ٣٢٠.
(٢) نفس المصدر ص ٣٢٠، ٣٢١.

فيها . اقرأوا إن شئتم ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس ما يجب أن يؤتى إليه»(١) .

وفي الحديث وردت كلمة (حجبت) و(حفت) والمعنى متقارب .

(حفت النار بالشهوات) أي بما يستلذ من أمور الدنيا مما منع الشرع منه أصالة ، أو لاستلزامه ترك مأمور. وألحق به الشبهات والإكثار من المباحات خوف الوقوع في المحرم .

«وحجبت الجنة بالمكاره»أي بما أمر المكلف بمجاهدة نفسه فعلا وتركاً كالإتيان بالعبادة على وجهها والمحافظة عليها ، وتجنب المنهي قولا وفعلا . وأطلق عليها مكاره لمشقتها وصعوبتها على العامل فلا يصل إلى النار إلا بتعاطي الشهوات ، ولا إلى الجنة إلا بارتكاب المشقات المعبر عنها بالمكروهات ، وهما محجوبتان ، فمن هتك الحجاب اقتحم(٢) .

وقال الغزالي : يُبين هذا الحديث أن طريق الجنة وعر وسبيل صعب ، كثير العقبات ، شديد المشقات ، بعيد المسافات ، عظيم الآفات ، كثير العوائق والموانع ، خفي المهالك والقواطع ، عزيز الاتباع والإشباع . وهكذا يجب أن تكون(٣) .

- فقه الحديث:

الحديث يأمر المكلف بمجاهدة نفسه فعلاً وتركاً كالإتيان بالعبادة على

(١) تفسير ابن كثير، ج ١ ، سورة آل عمران، ص ٦٥٣ .
(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي ج ٣، حرف الحاء، ص ٣٧٣ .
(٣) نفس المصدر ص ٣٨٩ .

وجهها، والمحافظة عليها وتجنب المنهي قولا وفعلا، وأطلق عليها مكاره لمشقتها وصعوبتها على العامل فلا يصل إلى النار إلا بتعاطي الشهوات، ولا إلى الجنة إلا بارتكاب المشقات المعبر عنها بالمكروهات(١).

- ما يستفاد من الحديث:

١- الحديث يرشد المؤمن إلى المزالق التي يقع فيها الإنسان المكلف فتؤديه هذه المزالق إلى النار، وكيف يتجنب هذه المطبات؟ وما الأشياء التي ينخدع بها المؤمن في صيامه من شهوة النفس وشهوة العين وشهوة البطن وما إلى ذلك؟.

٢- كما يرشد إلى الصفات والعادات الحسنة التي تقرب إلى الله تعالى وتحبب إلى النفوس مشاهدة التجليات الربانية يوم اللقاء، والاستظلال بظله يوم لا ظل إلا ظله ولا باق إلا وجهه، وترشد إلى الوسائل التي تسهل الطريق إلى دخول جنة الله الخالدة. فالجنة لا يتوصل إليها إلا بالتغلب على الشهوات، والتعود على المكاره، والتجرد من كثير من شهوات النفس ومظاهر الرياء والاندفاع نحو الملذات والانغماس في المغيرات «وحجبت الجنة بالمكاره».

---

(١) فيض القدير ج ٣، حرف الحاء ص ٣٧٣، ط دار المعرفة بيروت.

الخاتمة

منذ ظهور الإسلام والاحتجاج بسنة رسول الله ﷺ قائم كالاحتجاج بكتاب الله وفقاً لضوابط معروفة لأئمة المسلمين ومجتهديهم. ولما كانت السنة النبوية في جملتها تمثل المرحلة التطبيقية النبوية البيانية في ظروفها الزمانية والمكانية وبكل خصائص المرحلة الموضوعية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية، فإنه كانت ولا تزال هناك حاجة ماسة لدراسة الأحاديث الصحيحة دراسة موضوعية شاملة تلائم متطلبات الدعوة المتجددة.

وهذه القطوف المختارة تمت دراستها وفق المعايير والمقاييس الجديدة وتفرعت إلى أحد عشر عنواناً:

أولاً: أثر النية في العمل. وتحت هذا العنوان ثلاثة أحاديث: الأول: تقوى الله في الجوهر والمظهر «إن الله لا ينظر إلى صوركم...»، والحديث الثاني «إنما الدنيا لأربعة نفر...»، والحديث الثالث «المرء مع من أحب». شرحت هذه الأحاديث شرحاً مستفيضاً ملائماً للظروف العصرية مدعماً بالآيات لتكوين صورة واضحة لمعاني ومفاهيم ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون**﴾ النحل: ٤٤. وكان هذا المفهوم الشرعي والأصولي نصب أعيننا في شرح الأحاديث كلها، ولذلك كثر الاستشهاد بالآيات، وكان تأثير النية في العمل وتجرد النفس من العبودية لغير الله والابتعاد عن المظاهر والرياء هو الواضح في هذه الأحاديث. وأوضح ما تتجلى هذه الفكرة في حديث «إنما الدنيا لأربعة نفر...» وخصوصا في الصنف الأخير «وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته...».

ثانياً: حقيقة الإيمان: ويشمل هذا العنوان ستة أحاديث: يتحدث الأول عن حلاوة الإيمان. وموضوعية الحديث وأهميته تتطلب أن توسع مفاهيم حلاوة الإيمان بأن يعتقد المؤمن أن الأرزاق بيد الله وأنه لم يكن لأحد أن يمنعه. ومن مظاهر حلاوة الإيمان أن يتحرر المؤمن من الحرص والشح والإمساك والتقتير ويتحلى بمعاني الكرم والإيثار. وبهذه الصورة الشاملة المبتكرة شرح هذا الحديث.

والحديث الثاني: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا ...» توسعنا في شرح كلمة «الرب» ومفردات الحديث «تذوق» ومن خلال هذه المفردات ومن خلال آراء السلف توسعنا في شرح الحديث شرحاً مستفيضاً.

ثم شرحنا حديث «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»، شرحنا هذا الحديث بعيداً عن المفاهيم المعجمة، يعني التقيد بالحروف والكلمات الظاهرية فتوسعنا في شرح مفهوم «القوة» من قوة الجسم إلى قوة القلم وقوة المال وأن الإسلام يحب المؤمن القوي لأن طبيعة هذا الدين طبيعة جهادية. ومن هنا يدعو القرآن المؤمنين إلى إعداد القوة ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ...**﴾.

ومن أجمل ما درسناه في ضوء حقيقة الإيمان حديث «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» دراسة تاريخية تحليلية تربوية شاملة؛ فهو خير حديث يمثل حرص الرسول ﷺ على رعاية الأخوة الشاملة، وتنميتها وتعميقها، وظللت أجمع المناسبات العديدة التي وردت فيها هذه الأحاديث والخلفيات والحوادث التي كانت وراء ذلك؛ لأنها توضح كثيراً من الأشياء النفسية والاجتماعية في البيئة المدنية، ولقيت جهداً نبويًّا ضخماً في معالجتها، ومنها أنه سمع عمرو جابر بن عبد الله يقول: «كنا مع

النبي ﷺ، فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار. وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فقال رسول الله ﷺ: ما بال دعوى الجاهلية؟ . . . دعوها فإنها منتنة. وتجددت هذه الاشتباكات أكثر من مرة وفي أغلبها كان المهاجر هو البادئ. وحللنا تحليلاً تاريخيًّا واجتماعيًّا، وبينا سبب هذه البداية من قبل المهاجر، ولذلك عالج ﷺ هذه المواقف بكلمة تربوية نفسية «المهاجر من هجر السيئات والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ...».

ومن أبرز مظاهر حقيقة الإيمان التوكل على الله. ودرسنا موضوع التوكل دراسة شاملة، وأثبتنا في ضوء الكتاب والسنة أن اتخاذ الأسباب هو الأصل في التوكل على الله؛ فالتوكل عند المسلم تفويض وعمل مع هدوء قلب وطمأنينة نفس واعتقاد جازم بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

ثم درسنا حديث «دعوني ما تركتكم إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم . . .». والحديث يصور أساليب أدب الصحابة في توجيه الأسئلة، وكيف في خلال مدة قصيرة تطورت الأسئلة غير الموضوعية إلى الأسئلة العلمية والعملية ﴿**يسألونك ماذا ينفقون ...**﴾، ﴿**يسألونك ماذا أحل لهم ...**﴾ هكذا بدأت تتوارد الأسئلة المتنوعة وتتجدد؛ حبًّا في معرفة أبعاد هذا الدين وتبيان القيم الإسلامية الجديدة.

ثالثاً: الأخلاق: وهذا العنوان يشتمل على سبعة أحاديث كل واحد منها يمثل وحدة مستقلة، ولكنها تتآلف بعضها مع بعض، وتكمل معنى من معاني الأخلاق والأوصاف التي يجب أن تتصف بها الشخصية الإسلامية. وأول هذه الأحاديث «لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان»؛ لأن الشخصية المؤمنة لا تلائمها معاني الخب، والإفساد بين الناس، والتفريق بين

الأحبة، والبخل بالمال والعمل، إذ إن الأصل في المؤمن أن يكون كريماً ؛ فالمؤمن غر كريم، والفاجر خب لئيم، ولا يدخل الجنة الأصناف المذكورة، يعني دخولاً أوليًّا. وذكر تحت هذا العنوان حديث «تجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه». وهؤلاء أشد الناس إقداماً على تقويض معاني الأخلاق وتحطيم الشخصية الإسلامية، وأشد الناس خطراً على البيئة الإسلامية المتآلفة. ومن معاني الأخلاق المثيرة التي تتطلب وقفة تربوية ومتأنية معنى مداراة من يتقى فحشه، وهو قول النبي ﷺ لعائشة «إن شر الناس منزلة عند الله من تركه - أو ودعه - الناس اتقاء فحشه». والذي أشار إليه النبي ﷺ في هذا الحديث هو (عيينة بن حصن) ولم يكن أسلم حينئذ، وإن كان قد أظهر الإسلام، فأراد النبي ﷺ أن يبين حاله ليعرفه الناس ولا يغتر به من لم يعرف حالة، وأخيراً ارتد مع المرتدين وجيء به أسيراً إلى أبي بكر الصديق.

ومن الأشياء التي تؤثر في تغيير الأخلاق وتطبيع النفوس وتبلدها على المعاصي المجاهرة؛ ولذلك قال ﷺ: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا». وهذا الحديث يكاد ينطبق الآن على وجه الأرض في البيوت وفي القصور، الناس يتفرجون على الفيديوهات والتلفزيونات وعلى القنوات المختلفة التي تبث الخلاعة والمجون، وفي وقت قيام الليل والفجر، ويبيت الناس يسهرون على هذه المعاصي، وفي الصباح ينشرونها فيحطمون القيم الخلقية ويثيرون الغرائز الجنسية.

وبعد هذا حديث «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعاً وهات ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال». ودرسنا هذا الحديث دراسة شاملة، وبيّنّا خطورة كل فقرة على حدة، ووضحنا كيف أنها

تؤثر في تسوية الشخصية الإسلامية، وكيف تغير أخلاقياتها من البر والسمو إلى العقوق والشح وكثرة السؤال، وبينا أن وأد البنات يشمل من المعاني اللغوية التاريخية إلى المعاني المجازية والتربوية من التربية الشاملة الإسلامية وإلى الإعجاب بالحضارة الغربية وتربيتها، وأن إضاعة المال يشمل عدم استثماره وعدم إنفاقه في وجوهه، إلى الشح وتجميده.

ومن أبرز معالم الأخلاق حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه». ونلاحظ في هذا الحديث أن التوجيه للبر مرتبط ببسط الرزق وطول العمر، وحاولنا أن نربط هذه الأسباب بعضها ببعض بالوسائل المادية والأدبية والنفسية لتتجلى معالم الحديث وأخلاقياته بصورة علمية بناءة هادفة.

وأجمل الأحاديث في مفردات الأخلاق «من تشبه بقوم فهو منهم». ولما كانت الشخصية الإسلامية لا تعرف عادة إلا باللباس والهندام وبالمظهر وبتقاطيع الوجه وتزيين الشوارب وإعفاء اللحية فقد وضح ذلك ﷺ بكل أبعادها حتى لا يشتبه مؤمن بكافر، وحتى يمتاز المسلم عن غيره من الأمم بالسمو والسلوك والإخلاص والأخلاق وبالتحية والسلام، ومن هنا امتاز هذا الحديث برسم معالم الشخصية المؤمنة ونهيها عن التشبه بالكفار. وقد استفدنا في شرح هذا الحديث بجهود العلامة ابن تيمية الموفقة في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم.

رابعاً: التعاون والتكافل الاجتماعي: وجاءت الأحاديث التربوية الموفقة تحت هذا العنوان ومن أبرزها حديث النعمان بن بشير «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى ...». والحديث حلقة مترابطة مع حلقات التآخي والتآلف نحو إيجاد مجتمع رفيع كريم نظيف سليم يتضمن

التكافل والمبادئ التي يقوم عليها المجتمع الرباني، مجتمع يليق أن ينتسب إلى الأخوة، مجتمع نقي القلب نظيف المشاعر، مجتمع له أدب مع الله وأدب مع رسوله وأدب مع نفسه.

ومن أجمل معاني التعاون والتكافل الاجتماعي حديث النعمان المشهور بعنوان سفينة النجاة، وهو حديث بليغ يبين أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهمية التكافل بين الفرد والجماعة - وبين الجماعة والفرد، يوجب على كل منهما تبعات، ويرتب لكل منهما حقوقا. والإسلام يعطي عناية بالغة لهذا التكافل إلى حد التوحيد بين المصلحتين وحد الجزاء والعقاب على تقصير أيهما في النهوض بتبعاته. حديث في غاية الجمال يصور فيه الرسول الكريم المجتمع البشري بركاب سفينة في بحر، وقد انقسم الركاب فيها إلى قسمين، قسم في أعلى السفينة وقسم في أسفلها. والقسم الآخير فكر أن يثقب في أسفل السفينة ثقباً «فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولا نؤذي من فوقنا. فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً». وهو تصوير بديع لتشابك المصالح ورسم دقيق لواجب الفرد والجماعة نحو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون والتكافل بين جميع الأفراد. توسعنا في شرح هذا الحديث وحاولنا ربطه بواقع المسلمين الحاضر. ودرسنا ضمن هذه الفقرات حديث عبدالله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره...» وشرحنا هذا الحديث في ضوء متطلبات الدعوة الإسلامية في مسيرتها الدائمة المتطورة المتجددة وأن الدعوة الإسلامية أيضاً تحتاج إلى التعاون والتكافل الاجتماعي وإلى رجال أقوياء يتمتعون بالإخلاص ويزدادون رسوخاً في الابتلاءات والملمات، ولا يترددون لحظة لتحقيق معاني الجهاد ورفع راية الإسلام. وإلى هذه المواقف يشير ﷺ في هذا الحديث

المذكور. والحديث يشير إلى مواقف حرجة في غزوة الأحزاب وإلى موقف بلغت فيه القلوب الحناجر، وفي مثل هذه الظروف قال النبي ﷺ: «من يأتيني بخبر القوم يوم الأحزاب؟ فقا ل الزبير: أنا» وتكرر النداء وتكرر الجواب من الزبير. وربطنا هذا الحديث بالمواقف الدعوية التي تتطلب فيها الأمور من القائد المحنك أن يختار ويكلف مهام الأمور إلى شخص تتمثل فيه معاني الحواري.

ومن أبرز مبادئ التكافل الاجتماعي كفالة اليتيم. وحديث سهل بن سعد رضي الله عنه «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا...». ويعد التكافل الاجتماعي قاعدة أساسية في المجتمع الإسلامي. والجماعة المسلمة مكلفة بأن ترعى مصالح الضعفاء والأرامل والمساكين واليتامى. والدارس للآيات والأحاديث يدرك أن التركيز على اليتامى أكثر وهم أولى الناس برعاية الجماعة وحمايتها وعطفها حتى يستمر تطبيق معاني الجهاد، وتنطلق قوافل المجاهدين نحو تطبيق معاني الخلافة.

خامساً: حقوق الناس: وهي فكرة خطيرة وحساسة، كانت ولا تزال تحتل مكان الصدارة في معالجة منحنياتها وفي رد الحقوق. وتبين أن الإسلام لا يقف عند الإشادة بمبدأ العدل وإحقاق الحق ورد المظالم فحسب، وإنما يجعل العلاقة بين الأفراد والجماعات والدول علاقة سلام وأمان، يستوي في ذلك علاقة المسلمين بعضهم ببعض وعلاقة المسلمين بغيرهم. وحتى البهائم والوحوش تسترد حقوقها في يوم الحشر. وإلى هذا يشير الحديث «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء». وكلمات الحديث تشير بجملتها إلى يوم الحساب، وتهز القلوب هزًّا، وتشد النفوس شدًّا لتتشبع بمعانى العدل وتحمل الأمانة ورد الحقوق إلى أهلها وهو أسلوب تربوى مثير لتفهم معاني الحقوق وأداء الأمانة. وبهذا الأسلوب عالج ﷺ هذه المشكلة

العويصة التي تتخبط فيها البشرية حتى الآن خبط عشواء، وقد سبق أن عالجها ﷺ بشخصيته النموذجية وبأساليبه التربوية، كما يتجلى ذلك واضحاً في الحديث الثاني، قال: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. قال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسنات وهذا من حسناته ...» وهذا أسلوب تربوي انتبه إليه الآن المتخصصون في التربية والتعليم، أن من أجمل أساليب الإثارة والانتباه طرح الموضوع بصيغة استفهامية، وهذا الحديث يحتاج إلى وقفة؛ كيف أن الرسول يواجه أصحابه بهذا السؤال المثير «أتدرون من المفلس؟»، وجاءت الإجابات عادية جداً، وتهيأت النفوس لمعرفة الجواب الجديد، فإذا المربي والمرشد يفاجئهم بهذه الكلمات الندية «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة ...». هكذا بدأت العقول تتهيأ ليوم الحساب ذهنياً وفكرياً، وبدأت تتبين طرق النجاة من الإفلاس ومن الحساب ومن أداء الحقوق إلى أهلها. ومن هذه الأساليب التربوية المبتكرة لاسترداد الحقوق قال ﷺ: «قال الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره» والحديث يشير إلى قاعدة من رعاها وفاءً بعهد الله وشعوراً بتقواه أحبه الله وأكرمه، ومن اشترى بعهد الله وأيمانه ثمناً قليلا فليعلم أن الله خصمه يوم القيامة.

سادساً: العمل والمال في الإسلام؛ إذ النفس الإنسانية تندفع إلى المال **﴿وتحبون المال حبا جما﴾**، **﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾**.

هذه إحدى المشكلات والعقبات التي تنزلق فيها أقدام كثير من الناس فلا يكادون يتمسكون بحد الاعتدال والتوازن. وقد عالج الرسول ﷺ هذا

الموضوع بالطرق التربوية النبوية، وعالج النفس البشرية من الشح والاستعلاء على الحرص إلى البذل والعطاء والسخاء، وعالجها بالإشباع والإعطاء . عن حكيم ابن حزام - رضي الله عنه - قال: «سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه ...» . وقد تأثر الصحابي الجليل حكيم بن حزام بهذا الأسلوب النبوي المعطاء المثير للنفس والقلب فقال: يا رسول الله «والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا» .

فإكرام السائل وإشباع رغبته من الوسائل التربوية الناجحة لعلاج النفس ورفع معنوية السائل حتى يتوب ويتعفف ويسمو ويتخذ من عمل يده طريقاً للحياة وقد ذكر في هذا الموضوع أكثر من حديث يوضح أن هذا الأسلوب التربوي، أسلوب العطاء والتكريم كان له تأثيره المباشر في نفسية السائل، حتى ترك كثير من الصحابة عادة السؤال . ونموذج آخر لهذا العلاج الناجح قوله ﷺ: «لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدا يعطيه أويمنعه» وقد كان لهذا الحديث وغيره أثر بالغ في سلوك الصحابة وتوجيه بصيرتهم، فقد انطلقوا نحو مجالات الكسب وميادين العمل .

وقد عالج ﷺ هذا الموضوع بالأساليب المتنوعة، فقال: «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس» . هكذا كانت التربية النبوية الشاملة المعتدلة المتوازنة تعالج اندفاع الناس نحو الدنيا . فعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر أترى كثرة المال هو الغنى؟ قلت: نعم . قال: وترى قلة المال هو الفقر؟ قال: إنما الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب» .

وقد شرحنا هذه الفكرة ودعمناها بقول القرطبي: إن الغنى النافع هو غنى

النفس، وإنه إذا استغنت نفسه كفت عن المطامع وعظمت وحصل لها من الشرف والسمو. وقد عالج ﷺ هذا الموضوع الشائك بالأساليب المتنوعة، وأبرزها الأسلوب التطبيقي، فوجه الناس إلى استثمار الأرض واستصلاحها زراعة وفلاحة وغرساً للأشجار، وإحياء للأموات، فقال: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً إلا كان ما أكل منه صدقة وما سرق منه له صدقة وما أكل السبع منه فهو له صدقة...». وهذا القول حث للناس على الزراعة والإقبال على ممارستها فكان العرف السائد أن من أحيا أرضاً ميتة فهي له. ومما ساعد على انتعاش الزراعة غرس الرسول ﷺ وسلم الأشجار بأعداد كبيرة بيده المباركة.

سابعاً: المسؤولية: وهي فقرة مليئة باللمحات التربوية والمواقف التربوية والدعوية، وأجمل هذه الأحاديث حديث ابن عمر، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها...». شرحنا هذا الحديث بصورة مميزة بعيداً عن شروح المعاجم، وذكرنا أنه من أبرز مميزات هذا الدين أنه وزع المسؤولية توزيعاً دقيقاً لتنظيم الحياة الاجتماعية ومحاسبة المسؤولين والمكلفين، كل حسب مهمته وواجباته، فبدأ بالإمام. وقد دعمنا الشرح بأفكار السلف، وعلى رأسهم المفكر (الماوردي). وقد حدد الماوردي عشرة واجبات للإمام ووافقه على ذلك معظم العلماء الآخرين: حفظ الدين - تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين... إلخ، ثم دعمنا هذا الرأي بحديث رسول الله ﷺ: «من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا هو يجد من هو أصلح للمسلمين فقد خان الله ورسوله»، ثم بقول عمر وعمله رضي الله عنه: «من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة فقد خان الله ...». وبهذه الصورة العلمية، وفي ضوء الكتاب والسنة، وباستنارة من

أقوال السلف شرحنا معنى المسؤلية، وأبرزنا الأفكار التربوية والوقفات النبوية التوجيهية حتى تجلت معاني الحديث ومفاهيمه بصورة مشرقة ومبتكرة .

ومن هذه المعاني التربوية حديث معقل بن يسار - رضي الله عنه - يرويه عن النبي ﷺ يقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة». ونظراً لأهمية المسؤولية وخطورتها ظل الإسلام يبين مكانة الأمير والمسؤول، ويوضح مدى صلاحيته في الحكم بين الناس لتكون الأمور معروفة والحدود معلومة، حتى تسير سفينة الحياة على هدى وبصيرة، ويدرك كل فرد أنه أمين على شريعة الله وسنة رسوله، وأمين على جماعته ورعيته. وهذا الحديث لقطة جميلة من لقطات الأمانة. ومن معاني المسؤولية والأمانة حديث عدي بن عميرة الكندي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطا فما فوقه كان غلولاً يأتي به يوم القيامة ...». وظل النبي ﷺ يغرس مفاهيم الأمانة والمسؤولية في المناسبات المتعددة وبالأساليب التربوية، وأثرت هذه الكلمات في الصحابة حتى قام إليه رجل أسود من الأنصار قائلا: يا رسول الله اقبل عني عملك. وكأن الصحابي الأنصاري لم يكد يتصور كيف يتحمل هذه ا لأمانة وقد تعودت البيئة في تساهلها. وهذا التأثير المثير جاء بسبب الأسلوب التربوي البليغ .

ثامناً: العدل: وتحت هذا العنوان حديثان يوجهان الأمة الإسلامية إلى تفهم معاني العدل بأساليب تربوية نبوية مثيرة. عن عائشة - رضي الله عنها - أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حِبّ رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: «أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فاختطب ...». موقف مثير ومحرج للغاية ولكن الرسول ﷺ وقف موقف النبي

العادل واستنكر جرأة أسامة، وأخذته رجفة واحمرّت عيناه من شدة الغضب، وسرعان ما استدرك أسامة الموقف وندم وقال: استغفر لي يا رسول الله ﷺ وعرف الرسول ﷺ أن أسامة - رضي الله عنه - تأثر بالأجواءالموجودة في المدينة وبضغوط من بعض الناس، وأن الأمر يتطلب النصح والإرشاد وتصحيح بعض المفاهيم، فقام الرسول ﷺ خطيباً وموجهاً ... وختم كلمته «والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» وهكذا طبق الشرع وسط زوبعة ورجة ليكون درساً وتشريعا. وأيدنا هذا الشرح بتعبيرات ابن تيمية المنقولة من السياسة الشرعية.

وهذه الفقرة (العدل) تمتاز بأنها تشمل بين معانيها أحد السبعة المكرمين بظل الرحمن كما في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لاظل إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله ...».

وفي الحديث وقفات تربوية متعددة، وفيها وسائل نبوية عديدة لتوجيه المؤمن إلى تقوية الصلة بالله، وفيها وسائل فعالة لمحاربة المادية والأنانية ونشر السعادة، ووسائل أخرى لإقامة روابط أخوية للتآلف والتواد ليكون المجتمع الإسلامي مجتمعاً مثاليًا. وشرح الحديث بأسلوب تربوي مبتكر وأخذ حيزاً كبيراً، وسوف يلعب دوراً مباركاً في توجيه الشباب، وقد سلك فيه ﷺ وسائل تربوية متنوعة ليبعث في أصحابه الخشوع والخضوع ويدربهم على البكاء، ويستجيش مشاعرهم حتى يستظلوا بظل الرحمن.

تاسعاً: العلم: وتحت هذا العنوان حديث مليء بمفاهيم العلوم النافعة، حديث معاوية - رضي الله عنه - يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ...». وهذا الحديث يشتمل على ثلاثة أحكام، أحدها فضل التفقة في الدين. وثانيها أن المعطي على

الحقيقة هو الله. وثالثها أن بعض هذه الأمة يبقى على الحق أبداً. وقد جزم البخاري أن المراد بهم أهل العلم بالآثار. وقال أحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم. قال الحافظ: نكر (خيراً) ليشمل القليل والكثير. ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين، أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع، فقد حُرم الخير.

ومن خلال دراسة التاريخ يتجلى لنا أن الرسول ﷺ كان ينمي في أصحابه قدرات التفقه، وعلى رأسهم علي بن أبي طالب، فقد امتاز بالتفقه في الدين وإدراك أسرار الشريعة. ومنهم عبد الله بن العباس قال: ضمني رسول الله ﷺ وقال: «اللهم علمه الكتاب»، وفي رواية بلفظ «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل». وببركة هذا الدعاء تبحر ابن عباس - رضي الله عنه - في العلوم الشرعية وفي التفسير. ومنهم معاذ بن جبل؛ فقد أولى النبي ﷺ الاهتمام بصغار الصحابة لصقل مواهبهم وتنمية قدراتهم. عن معاذ: «بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فلما سرى أرسل في أثري فرددت، فقال: أتدري لم بعثت إليك؟ لا تصيبن شيئاً بغير علم فإنه غلول».

وبذلك يحث ﷺ على الاستزادة في العلم والتفقه في الدين، وبهذه اللمحات التربوية ظهر على الساحة المدنية مجموعة من الفقهاء، ثلاثة منهم من المهاجرين عمر وعثمان وعلي وثلاثة من الأنصار أُبي بن كعب ومعاذ وزيد.

وبهذه الصورة بدأت تظهر معالم المدرسة الفقهية والطابع الفقهي الخاص للمميزين من الصحابة.

وهذه الفقرة جمعت الأحاديث التي تتبين أهمية العلم ومكانته وتشجع المؤمن وتحثه على الارتواء من مناهله، واختار لذلك ﷺ وسائل عديدة منها التنافس الشريف، وأباح الحسد بمعنى الغبطة في هذا المجال؛ عن عبد الله بن مسعود

قال: قال النبي ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل أعطاه الله مالاً فسلطه على هلكته بالحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها». المراد لا حسد مباح في شيء من الأشياء إلا في اثنتين، أو المعنى لا رخصة في الحسد في شيء إلا في اثنتين. فإن قلت ما في هذه الاثنتين غبطة وهو غير معنى الحسد، هاهنا شدة الحرص والرغبة كنى بالحسد عنهما؛ لأنهما سببه والداعي إليه، ولهذا سماه البخاري اغتباطا.

ومغزى الحديث وهدفه يكمن في الترغيب في تحصيل العلم والتصدق بالأموال. والحديث الثالث في هذا الباب يدعو إلى العلم بأسلوب مبتكر؛ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم ...». والدارس لهذا الحديث يلمح من خلال كلماته معاني التراحم والحث على العلم، وهذا الحديث تشمل فقراته جميع سبل العلم والخير. وهذه السبل العلمية تؤدي إلى تطوير أساليب الدعوة من إنشاء المدارس والمستشفيات، وإيجاد وسائل متطورة لخدمة الدعوة من الأشرطة والتكنولوجيا الجديدة لتخزين المعلومات، ونشرها بأيسر صورة ممكنة، من برمجة الأحاديث والآيات في الحاسب الآلي؛ لأن الدعوة إلى الهدى تكون بالقول والعمل وبالوسائل المشروعة والآلات الجديدة المتجددة. فمن دعا إليه كان له من الأجر على دعوته مثل أجور من تبعه، وهذا معنى التعاطف والتراحم، وبعكس ذلك من دعا إلى ضلالة.

عاشراً: فضائل الأعمال: وهذه الفقرة تشتمل على حديثين فقط، حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة، قال: من هذه؟ قالت: فلانة ـ تذكر من صلاتها. قال: «مه، عليكم بما تطيقون فوالله

لا يمل الله حتى تملوا، وكان أحب الدين إليه ما دام عليه صاحبه». هذا الحديث يعالج موضوعاً تربويًّا مهماً، موضوع الاعتدال والتوازن في العبادات كلها والاستمرارية على مداومتها. وقد يخفى على كثير من الناس هذه الفكرة الإسلامية الحيوية. قال القاضي أبو بكر بن العربي: معنى المحبة من الله تعلق الإرادة بالثواب، أي أكثر الأعمال ثواباً أدومها. قال النووي: بدوام القليل تستمر الطاعة بالذكر والمراقبة والإخلاص والإقبال على الله، بخلاف الكثير الشاق، حتى ينمو القليل الدائم، بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة.

ومن فضائل الأعمال أن يعرف المؤمن أي الأعمال أفضل. عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن رجلا سأل النبي ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة لوقتها، وبر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله». والحديث يوضح الأولوية في العبادة والأفضلية في الترتيب، فسائل يسأل: أي الأعمال أفضل؟ والجواب المباشر المبارك: الصلاة لوقتها، قال: ثم أي؟ قال: ثم بر الوالدين. و(ثم) هنا للتراخي. ومعنى ذلك بعد أن يتشبع المسلم بروح الصلاة ويتعود على مواعيدها الأولى يأتي دور بر الوالدين. وقد ذكر القرآن بر الوالدين بعد عبادة الله ووحدانيته ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا**﴾.

وبعد هاتين الخطوتين: الصلاة لوقتها، والثانية بر الوالدين تأتي المرتبة الثالثة، مرتبة الجهاد. فقيمة الجهاد بالأموال والأنفس في ميزان الله قيمة كبيرة، وهذه من أفضل الأعمال التي يجب أن يداوم عليها المؤمن. وقد ذكرها النبي ﷺ ليبين أهميتها، وليعود المؤمن على إدراك أهمية الأولويات في العبادة.

حادي عشر: تشتمل على معاني الرقائق، ودرست فيها ثلاثة أحاديث كلها تهذب النفس وترقق القلب، وتذكر بحساب القبر والآخرة.

الحديث الأول: عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ». والحديث يبين قيمة الوقت ويقدر خطورة الزمن، وينبه المؤمن أنه يحاسب عن عمره وعن وقته؛ لأن الوقت والعمر أمانة كأمانة المال، ومن المؤسف حقا أن الناس ينتبهون - نوعا ما - إلى عدم إهدار المال ويعرفون مدى خسارته، بينما لا يدركون معاني إهدار الوقت، مع أنهما مرتبطان بعضهما بالبعض، وأما نعمة الصحة فلا تعادلها نعمة، وكل نعمة يحاسب عليها المؤمن، والحديث يثير في المؤمن روح العناية بهذه الصحة، ويطلب منه أن يتزود، وإن خير الزاد التقوى، فالموت بالمرصاد، ولا تدري نفس بأي أرض تموت؟ وفي أي وقت تموت؟ فيستثمر صحته وشبابه في أداء الواجبات والتكاليف. وبهذا الأسلوب التربوي يرقق النبي ﷺ قلب المؤمن. ومن أحاديث الرقائق حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - يحدث «أن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله، فقال: «إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يقسم عليكم من زهرة الدنيا وزينتها. فقال رجل: يا رسول الله، أويأتي الخير بالشر؟ فسكت النبي ﷺ... فقال: لا يأتي الخير بالشر، وإن مما ينبت الربيع يقتل أو يلم إلا آكلة الخضراء ...».

وحديث أبي سعيد الخدري هذا يمثل حلقة من حلقات التربية النبوية لأصحابه، وكيف كان ﷺ يقلل من حب الدنيا ويرقق القلوب ويفهمها بمعاني القناعة فقال: «إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يقسم عليكم من زهرة الدنيا وزينتها». هذه فطرة الإنسان وهذا طبعه - ما لم يخالط الإيمان قلبه فيغير من تصوراته وقيمه وموازينه واهتماماته ويجعل كنوده وجحوده اعترافا بفضل الله وشكرانا، كما يبدل أثرته وشحه إيثارا ورحمة. ويتراءى

للإنسان المالُ نعمةً وخيرًا، ولذلك سأل رجل قائلا: «يا رسول الله، أويأتي الخير بالشر؟» فسكت النبي ﷺ انتظارا للوحي «فرأينا أنه ينزل عليه - يعني الوحي».

والحديث ليس دعوة إلى الزهد في طيبات الحياة، ولكنه دعوة إلى الاعتدال والتوازن في مجالات الحياة الدنيوية المتعددة، ودعوة إلى تقوية الصلة بالله والرضا به، فلا تتهاوى النفوس أمام زينة الثراء، ولا تفقد اعتدالها بالقيم العليا، وبالاختصار فإنه ﷺ حذرهم من زهرة الدنيا وخاف عليهم منها. والحديث الثالث في هذا الموضوع عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره». والحديث من جوامع كلمه ﷺ وبديع بلاغته في ذم الشهوات، وإن مالت إليها النفوس، والحض على الطاعات وإن كرهتها النفوس وشق عليها. والحديث من الوسائل الفعالة لترقيق القلوب، ولكبح جماح النفس بذكر الموت والحساب والقبر والحشر. والحديث يوضح معنى الآية الكريمة ﴿**وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز**﴾ ولفظ (زحزح) بذاته يصور معناه بجرسه ويرسم هيأته ويوضح عبارة «حجبت النار بالشهوات»، وكأنما للنار جاذبية تشد إليها من يقترب منها، فهو في حاجة إلى مجاهدة النفس والسيطرة على المشاعر والأعصاب، والتزود بمعاني التقوى حتى لا ينفلت زمام النفس وتقترب إلى جاذبية النار. والحديث يعرف أصحاب الدعوة حقيقتهم، وهم يزاولون الحياة والجهاد مزاولة عملية وواقعية لهذه النفوس، فيتجنبون المطبات ويقفون عند المنحنيات ويتزودون بزاد التقوى حتى تحجب نفوسهم عن النار.

المصادر والمراجع

ـ أ ـ

١ - آبادي : العلامة أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم - عون المعبود شرح سنن أبي داود (مع شرح الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية) - ط١ ، ١٤١٠هـ ، دار الكتب العلمية - بيروت .

٢ - ابن إدريس : عبد الله عبد العزيز - مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ . ط الرياض سنة١٩٨٢م .

٣- ابن أنس : الإمام مالك- الموطأ - ط القاهرة ١٩٥١م -رواية يحيى الليثي ، ط٦ سنة ١٩٨٢م - بيروت .

٤ - ابن بلبان : الأمير علاء الدين علي - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : حققه وخرج أحاديثه ، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط ، ط٢ ، ١٤١٤هـ مؤسسة الرسالة .

٥ - ابن حجر العسقلاني : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري-ط٢ ، ١٤٠٩هـ القاهرة .

- الإصابة في تمييز الصحابة ، وبهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب - ط ١ سنة ١٣٢٨ هـ .

٦ - ابن حنبل : الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد - مسند الإمام أحمد - دار صادر للطباعة والنشر - بيروت .

٧- ابن رجب : الإمام الحافظ الفقيه زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن

شهاب الدين- جامع العلوم والحكم - ط ٢ ، ١٤١٢هـ مؤسسة الرسالة بيروت .

٨- ابن سعد : الإمام محمد - الطبقات الكبرى - ط دار صادر بيروت .

٩- ابن قدامة : شيخ الإسلام أبو محمد موفق الدين عبد الله

- الكافي : ط٤ ، ١٤٠٥ هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

-المغني : ط ١ ، ١٤٠٦هـ ، هجر-القاهرة .

١٠- ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي - تفسير القرآن العظيم - كتب هوامشه حسين بن إبراهيم زهران - ط١٩٨٦ ، دار الكتب العلمية .

١١-ابن ماجه : أبو عبد الله محمد بن يزيد - سنن ابن ماجه - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - ط دار الفكر- القاهرة .

١٢- ابن هشام : أبو محمد عبد الملك - السيرة النبوية - تحقيق مصطفى السقا وزملائه - مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط٢ ، ١٩٥٥م ، ط دار الفكر، القاهرة .

١٣- أبو العز: العلامة علي بن علي بن محمد - شرح العقيدة الطحاوية- ط ٩ ، ١٤٠٨ هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

١٤- أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستاني :

- مسند أبي داود - ط١ ، ١٩٦٩م

- مختصر مسند أبي داود ، للحافظ المنذري ، تهذيب الإمام ابن قيم الجوزية .

١٥- أبو زهرة: الشيخ محمد - الإمام الصادق.

١٦- الألباني: الشيخ محمد ناصر الدين:

- صحيح الجامع الصغير وزيادته، ط١٩٦٩، المكتب الإسلامي، بيروت.

- صحيح سنن ابن ماجه، ط ٣، ١٤٠٨ هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

- ب -

١٧- البخاري: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل - الجامع الصحيح- من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، ط١، ١٤٠٠ هـ، المكتبة السلفية، القاهرة.

١٨- بدران: د. بدران أبو العينين -أصول الفقه.

١٩- البيهقي: العلامة أبو بكر أحمد بن حسين بن علي - الآداب.

- ت -

٢٠- الترمذي: أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم - سنن الترمذي.

٢١- تيمية: الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن شهاب الدين عبد الحليم: فتاوى ابن تيمية.

- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية.

- اقتضاء الصراط المستقيم. تحقيق د. ناصر عبد الكريم العقل.

- ج -

٢٢- الجوزية: الإمام الحافظ شمس الدين بن القيم:

- مدارج السالكين.

- الفروسية .

- إعلام الموقعين .

- د -

٢٣- الدارمي : العلامة أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن فضل بن بهرم - سنن الدارمي .

- ذ -

٢٤- الذهبي : الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان - سير أعلام النبلاء - ط ٩ ، ١٤١٣ هـ . مؤسسة الرسالة بيروت .

- ر -

٢٥ - رضا : الشيخ محمد رشيد - تفسير المنار - ط٢ ، بيروت .

٢٦- رضا : د . صالح أحمد - قطوف من رياض السنة .

- ز -

٢٧- الزرقاني : الشيخ محمد بن عبد الباقي بن يوسف - شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ، ط١ ، ١٤١١هـ ، دار الكتب العلمية بيروت .

- س -

٢٨- السهيلي : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله - الروض الأنف ، تعليق طه عبد الرؤوف ، ط القاهرة .

٢٩- السيوطي : جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر:

-تاريخ الخلفاء .

-الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، ط القاهرة.

- ش -

٣٠- الشقيري: محمد عبد السلام خضر - السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات.

٣١- الشوكاني: الإمام محمد بن علي - نيل الأوطار.

- ص -

٣٢- الصنعاني: العلامة السيد محمد بن إسماعيل الأمير - العدة على إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ط ٢ ، ١٤٠٩هـ ،المكتبة السلفية، القاهرة.

- ط -

٣٣- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط٢ ، ١٩٨٤م، دار الفكر بيروت.

- ع -

٣٤- عبد الباقي: محمد فؤاد - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٥- عثمان: د. عبد الكريم - معالم الثقافة الإسلامية.

٣٦- العثيمين: محمد بن صالح - تقريب التدمرية.

٣٧- العودة: سلمان بن فهد - صفة الغرباء.

ـ ف ـ

٣٨- الفـوزان: د. صـالح بن فوزان بـن عبد الله - الإرشـاد إلى صحيح الاعتقـاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، ط ١، ١٤١٥هـ، دار ابن الجوزي، الدمام.

ـ ق ـ

٣٩- القباني: د. صبري - الغذاء لا الدواء.

٤٠- القرضاوي: د. يوسف - مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام.

٤١- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري - الجامع لأحكام القرآن - ط١٩٨٥م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٤٢- قطب: سيد - في ظلال القرآن، ط١٩٧٣، دار الشروق، بيروت.

ـ م ـ

٤٣- المباركفوري: الإمام الحافظ أبو العلا محمـد عبد الرحمن بن عبدالرحيم - تحفـة الأحـوذي بشرح جـامع الترمـذي، ط١، ١٤١٠ هـ. دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٤- المستشرقون: رتبه ونظمـه لفيف من المستشرقين - المعجم الفهرس لألفاظ الحديث النبوي - نشره د. أ. ي. ونسنك أستاذ العربيـة بجامعة لندن - مكتبة بريل لندن ١٩٣٦م.

٤٥- مسلم: الإمـام أبو الحسن بن الحجـاج بن مسلم - صحيح مسلم، ط ١ ١٣٧٤ هـ، القاهرة.

٤٦- المناوي: العـلامة المحـدث محمد، المدعو بعبـد الرؤوف - فيض القـدير شرح الجامع الصغير، دار المعرفة، بيروت.

٤٧- الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب - الأحكام السلطانية والولايات الدينية .

٤٨- المودودي: أبو الأعلى - المصطلحات الأربعة في القرآن .

- ن -

٤٩- الندوي: أبو الحسن علي الحسني - السيرة النبوية - ط١، ١٩٧٧م - دار الشروق، جدة .

٥٠- الندوي: د. محمد لقمان الأعظمي- مجتمع المدينة المنورة في عهد الرسول ﷺ كما يصوره القرآن ، ط دار الاعتصام .

٥١- النسائي: القاضي أحمد بن شعيب بن علي .

- سنن النسائي - المكتبة التجارية بالقاهرة .

- الجامع الفريد: (يحتوي على كتب ورسائل لأئمة الدعوة - ط الثانية -وقف لله تعالى) .

-معجم الطبراني الأوسط .

- المستدرك على الصحيحين للحاكم .

- عمدة القاري .

-القاموس المحيط .

قال تعالى: ﴿**كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلّمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون**﴾ (البقرة: ١٥١).

حدثنا أيوب بن موسى عن أبيه عن جدّه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما نَحَلَ والدٌ ولداً من نحلٍ أفضل من أدب حسن**».

تحفة الأحوذي جـ٦ ص٨٤ أبواب البر والصلة

مجتمع المدينة المنورة في عصر النبوة كما يصوره الحديث

عن أبي وائل عن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «**المرءُ مع من أحب**».

عن أنس أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله متى الساعةقائمة؟ قال: **ويلك وما أعددت لها؟** قال: ما أعددت لها إلا إني أحب الله ورسوله قال: إنّك مع**من أحببت** -قلنا نحن كذلك؟ قال: **نعم** ففرحنا يومئذ شديداً.

«أثر النية في العمل»

مجتمع المدينة المنورة في عصر النبوة كما يصوره الحديث

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله إلخ».

قال العلماء -رحمهم الله- معنى حلاوة الإيمان: استلذاذ الطاعات وتحمل المشاق في رضى الله عز وجل ورسوله وإيثار ذلك على عرض الدنيا ومحبة العبد ربه سبحانه وتعالى لفعل طاعته وترك مخالفته.

مجتمع المدينة المنورة في عصر النبوة كما يصوره الحديث

عن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال: «إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات، ومنعاً وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال.

البخاري كتاب الأدب باب عقوق الدين

الحديث يرسم شخصية المسلم في أفقه الأعلى، أفق الإسلام والقرآن وفي ضوء أسوة خير الأنام الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه والذي شهد له في كتابه قائلاً ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾.

مجتمع المدينة المنورة في عصر النبوة كما يصوره الحديث

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما شيئاً**».

يعد التكافل الاجتماعي قاعدة أساسية في المجتمع الإسلامي والجماعة الإسلامية مكلفة بأن ترعى مصالح الضعفاء والأرامل والمساكين واليتامى قال تعالى: ﴿**ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط . . الآية**﴾ (الأنعام: ١٥٢).

مجتمع المدينة المنورة في عصر النبوة كما يصوره الحديث

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون من المفلس؟** قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع؛ فقال: **إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة . . . إلخ**».

الحديث حلقة من حلقات إعداد الفرد المؤمن وتربيته وتوجيهه نحو أداء

الحقـوق، ويستخدم النبي ﷺ أسلـوب الحوار، ولهذا الأسلـوب أثر نـافع في نفس السامع والقارئ الذي يتابع الموضوع بشغف واهتمام.

مجتمع المدينة المنورة في عصر النبوة كما يصوره الحديث

قال رسـول الله ﷺ: «**ولأن يحتطب أحـدكم حزمة على ظهـره خيرٌ من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه**» فتح الباري جـ٢ ص٣٠٤.

الإسـلام دين العمل والإنتـاج ودين السعي والكسب والمؤمن مأمـوراً أن يمشي في مناكب الأرض، ويبحث من سبل العمل قـال تعالى: ﴿**وهو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه**﴾ (الملك: ١٥).

اقتضت حكمـة الله في الخلق أن هـذه الأرزاق التي ضمنها والمقاييس التي ينشرها لا تنـاسب إلا بعد أداء الشعائر التعبـدية وبعـد مراعاة الأولـوية﴿**فإذا قضيت الصـلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا مـن فضل الله واذكـروا الله كثيراً لعلكم تفلحون**﴾ (الجمعة: ١٠).

هـذا الترتيب والتـوازن هـو ميـزة منهـج التربيـة الإسـلاميـة التـوازن بين مقتضيات الحيـاة في الأرض من عمل وكد ونشاط وكسب وبين تربيـة الروح وتعلق القلب بالله وتجرده للذكر والتسبيح.

مجتمع المدينة المنورة في عصر النبوة كما يصوره الحديث

عن ابن عمر رضي اللـه عنه يقـول سمعت رسول اللـه ﷺ يقول: «**كلكم راع وكل مسؤلٌال عن رعيته الإمام راع ومسـؤول عن رعيته والرجل راعٍ وهو مسـؤول عن رعيتها والخادم راعٍ في مـال سيـده . . إلخ**» صحيح مسلم بشرح النووي جـ١١٢ كتاب الإمارة.

إن من أبرز مميزات منهج التربية الإسلامية أنه وزع المسؤولية توزيعاً دقيقاً لتنظيم الحياة الإجتماعية ومحاسبة المسؤولين والمكلفين كل حسب مهمته وواجباته بدأ بالإمام لأن مسؤولية الإمام ضخمة وأمانة ثقيلة ثم من الحياة البيتية فالرجل راعٍ على أهل بيته فمن أوجب واجباته أن يسعى ويكد وينهض بأعمال الكسب والإسلام يراعى في هذه المسؤولية الفطرة والاستعدادات الموهوبة فمن مسؤولية الرجل أن يتجه بالعمل ثم التربية (والمرأة راعية في بيت بعلها) ثم يأتي دور الأم لأنها تربي أولادها بين الحنان والرعاية وبين الدعابة والابتسامة وتقدم النماذج الجميلة من الخلق الحسن والآداب الكريمة.

مجتمع المدينة المنورة في عصر النبوة كما يصوره الحديث

عن عميرة الكندي قال من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطا فما فوقه كان غلولا يأتي به يوم القيامة.

صحيح مسلم جـ١٢ كتاب الإمارة.

وبين شمولية التربية الإسلامية أن الإسلام أعطى للمسؤولين بعض الامتيازات الإقتصادية - والأدبية ليسمو عن السفاسف.

عن المستورد بن شداد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان لنا عاملاً فليكتسب زوجة وإن لم يكن له خادم فليكتسب خادماً فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكناً . . .»

منهج تربوي فريد لتربية المسؤول تربية شاملة لتحمل معاني الأمانة وأدراك مفاهيم المسؤولية والحديث لفتة جميلة من لفتات التربية النبوية لرفع مستوى المسؤول وإبعاده عن وسائل الإغراء وأبواب المزالق.

مجتمع المدينة المنورة في عصر النبوة كما يصوره القرآن الكريم

«ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما أنا قاسسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله»

فتح الباري جـ١ كتاب العلم.

ومن مميزات التربية الإسلامية أنها تشيد بالعلم والتفقه فكان لذلك أثر كبير في إغناء الحياة العلمية وإثراء المكتبة الإسلامية.

ومن مميزات التربية النبوية أنه ﷺ كان ينمي في أصحابه المواهب والقدرات للتفقه والتعلم وبرز منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد امتاز بإدراك أسرار الشريعة وابن عباس رضي الله عنه فقد ضمه ﷺ وقال: «**اللهم علمه الكتاب**». وأولى النبي ﷺ عناية خاصة بصغار الصحابة ومنهم معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وأثمرت التربية النبوية مبكراً حتى بدأ التفقه في الدين يأخذ طابعاً علمياً ويكاد يكون نواة المدرسة الفقهية.

وعن مسروق قال: قال شامت أصحاب محمد ﷺ فوجدت علمهم إنتهى إلى ستة علي وعمر وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وأبي الدرداء وأبي بن كعب ثم شامت ستة فوجدت علمهم إنتهى إلى علي وعبد الله.

مجتمع المدينة المنورة في عصر النبوة كما يصوره الحديث

عن ابن مسعود رضي الله عنه سأل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل قال: «**الصلاة على وقتها وبر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله**».

الحديث يصور لمحة من لمحات الحياة في المجتمع المدني في عهد الرسول ﷺ وهي تتطور ويتلقى كل يوم قيماً جديدة ومفاهيم سامية.

ومنهج التربية الإسلامة يمتاز بالتركيز على العبادة (الصلاة على وقتها) هي الأصل في التربيـة ومن ثمـرات بـر الـوالديـن ومن نتائجهـا الإنطـلاق نحـو ساحات الجهاد.

عن أبي هـريـرة رضي اللـه عنـه أن رسـول اللـه ﷺ قـال: حجبت النـار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره.

فتح الباري جـ١١ كتاب الرقائق.

الحديث يعرف أصحاب الدعـوة حقيقتهم هم أنفسهم وهم يزاولون الحياة والجهاد مـزاولة عمليـة ويعرفـون حقيقة النفـس البشرية وخبـاياهـا وحقيقة المجتمعات والبيئات وهم يرون كيف تصطرع مبادئ دعوتهم مع الشهوات في أنفسهم ويعرفون مداخل الشيطان ومـزالق الطريق ويلتمسون الطريق للنجاة وحينئـذ يضعون نصب أعينهم هـذا الحديث المثير (حجبت النـار بالشهـوات وحجبت الجنة بالمكاره).

ومنهج التربية النبوية يمتاز بالترغيب والترهيب.